

الفصل العاشر

الانتفاضة الفلسطينية تبدد ظلمات اليأس !!
وتقدم البيان العملي لتحرير فلسطين .. بل وتحرير أرض الله كلها
وتحرير الإنسان كل الإنسان
المبحث الأول

الانتفاضة الفلسطينية منذ عام ١٩٦٤ - ١٩٦٨

تابعنا بإيجاز شديد في فصول سابقة ، جذور المقاومة الإسلامية على أرض فلسطين ، ودورها في مواجهة المخطط اليهودي الأوربي ، ولعلنا أدركنا من خلال المتابعة جملة حقائق :

أولاً : أن المقاومة الفلسطينية لو تركت وشأنها مع تقديم الدعم المادى والمعنوى لها لأمكنها بفضل الله إنهاء العدوان الإنجليزي اليهودي الواقع على فلسطين .

ثانياً : أن الخائن جلوب الذى كان قائداً للجيش الأردنى ، كان حريصاً على تحجيم المقاومة الإسلامية على أرض فلسطين بل وأمر بسحب السلاح من أفرادها بحجة أن الجيوش النظامية ستقوم بالواجب .

ثالثاً : أن المقاومة الفلسطينية قد نجحت منذ عهد الاحتلال الإنجليزي عام ١٩١٨ وحتى عام ١٩٤٨ فى الدفاع عن غالب الأرض الفلسطينية ، وأن اليهود قد اغتصبوا الجزء الأكبر منها بعد دخول الجيوش العربية فرض الهدنة الأولى والثانية ، وفى ظل الجيوش العربية ثم تحجيم المقاومة الفلسطينية وحرمانها من الدعم المادى (وخاصة السلاح) .

وحينما فرضت الهدنة الثانية واجهت المقاومة الفلسطينية مشكلة خطيرة ، وهى وجود الجيوش العربية على جميع الجبهات مع العدو اليهودى ، والتزامها بعدم مهاجمته أو مقاتلته ؛ وأيضاً تواجد مراقبين من قبل ما تسمى هيئة الأمم لوقف إطلاق النار ، وهكذا استطاع المجتمع الدولى أن يؤمن المقاتل اليهودى سفاك الدماء مغتصب الديار ، وأن تُحجّم حركة الذين قُتل آباؤهم وأمهاتهم وأطفالهم واغتصبت ديارهم ، ضد عدوهم الذى يقف أمامهم وتحت سمع وبصر العالم العربى والإسلامى .

وجاء حكم العسكر ، وتُحدثت الجماهير بشعارات التحرير والإعداد والانتظار ، ولقد تبين لنا أنه لم يكن هناك إعداد .. ولا توجه لخوض معركة ضد العدو المغتصب . وقد أكد ذلك العدوان اليهودى فى فبراير ١٩٥٤ على قطاع غزة ، والعدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ ، والعمل لتحويل مجرى نهر الأردن ، كل هذا يحدث والحكومات العربية لا ترى .. ولا تسمع .. إذن من طين وأخرى من عجين .

تشكيل جيش التحرير الفلسطيني :

ولسب أو لآخر تعرضت المقاومة الفلسطينية لاختبار شديد ، اقترن بقرارات مؤتمر القمة العربي الذي عقد في عام ١٩٦٤ بالقاهرة . لقد اتخذ الرؤساء والأمراء والملوك قراراً بتشكيل جيش من أبناء فلسطين انتظاراً ليوم التحرير ، وكان هذا القرار ايذاناً بميلاد منظمة التحرير الفلسطينية . وولدت المنظمة ، شيعاً وأحزاباً على أرض مصر وسورية ولبنان وشرق الأردن .. بعضها يدين بالماركسية ، وبعضها يدين بالاشتراكية .. بعضها يدين للنظام السوري وبعضها يدين للنظام المصري .

« ومن أبرز فصائل المقاومة الفلسطينية فتح التي بدأت تمارس جهاداً فعلياً لتحرير فلسطين ، وكان أول بلاغ رسمي يحمل اسم حركة التحرير الفلسطينية « فتح » (يناير كانون الثاني ١٩٦٥) :

اتكالاً منا على الله .. وإيماناً منا بحق شعبنا في الكفاح لاسترداد وطنه المغتصب ، وإيماناً منا بواجب الجهاد المقدس ، وإيماناً منا بموقف العربي الثائر من المحيط إلى الخليج ، وإيماناً بموازنة الشرفاء في العالم لذلك ، فقد تحركت أجنحة من قواتنا الضاربة في ليلة الجمعة ٣١ ديسمبر ١٩٦٥ وقامت بتنفيذ العمليات المطلوبة منها كاملة في الأرض المحتلة ، وعادت جميعها إلى معسكراتها سالمة وإننا لنحذر العدو من القيام بأية إجراءات ضد المدنيين الآمنين العرب أينما كانوا لأن قواتنا سترد على الاعتداءات باعتداءات مماثلة .. كما أننا نحذر جميع الدول من التدخل لصالح العدو بأي شكل كان لأن قواتنا سترد على هذا العمل بتعرض مصالح هذه الدول للدمار أينما كانت .

كان هذا البلاغ دليلاً على أن الشعب الفلسطيني مازال يدب على الأرض وأنه لم ينس فلسطين ، وأن الجهاد هو السبيل إلى تحريرها ، وواصل المجاهدون الفلسطينيون أعمالهم ضد اليهود وانزعج اليهود وبدأت عمليات عسكرية ضد المدنيين من أبناء الشعب الفلسطيني والعربي مثلما فعل اليهود بقرية السموع الأردنية .

وارتفع صوت اليهود تدعيمهم أوروباً تهدد الدول العربية المجاورة (مصر وسورية وشرق الأردن ولبنان) إذا لم تعمل هذه الدول على وقف العمل الفدائي ، وكان الرد من غير الممكن وقف شعب ثائر احتلت أرضه وشرده أهله ، وصمم على استمرار الجهاد ضد أعدائه ، وأوضحت تلك الدول أنها غير مسؤولة عن تلك الأعمال وغيرها وغير ملزمة بالبحث والتحرى عمن يقوم بها .

فاجأت « فتح » العالم ببلاغها الرسمي الأول ، وكانت النظرة إليها تحمل كثيراً من الاستغراب وعدداً من التساؤلات ، فالأنظمة العربية العسكرية ترى أن تحديد وقت المعركة يجب أن يصدر عن القيادات السياسية والعسكرية لتلك الحكومات ، ويجارى الحكومات العربية في هذا المعنى بعض الحزبيين ومن بينهم حركة القوميين العرب . ولكن « فتح » كانت تنادي بأن « الجهاد المسلح

هو الذى سيؤدى إلى تفاعل جماهير الأمة العربية فى حركة التحرير ، وأنه إذا كانت ستة عشر عاماً منذ ١٩٤٨ وإلى ١٩٦٥ غير كافية للبدء فى حركة جدية لتحرير فلسطين فإن انتظار أعوام أخرى لن يؤدى إلا إلى إماتة القضية ، وتبين أن « فتح » كانت مصيبة . فحرب حزيران كانت بحجة العمل الفدائى ، وكان يمكن أن تقوم بأية حجة أخرى ، ولكنها حرب أظهرت أن الدول العربية لم تكن قادرة عسكرياً .

«وليس معنى هذا إلا السير فى خط طويل من الانتظار حتى تجد إسرائيل أن الفرصة سانحة لتنفيذ مشروعها التوسعى وتبدأ المعركة كما تشاء ومتى تشاء ، ولا سبيل إلى تغيير التفكير اليهودى بـ «القيام بانتفاضة شعبية جهادية ، يشعلها أبناء فلسطين ، ويساندتهم إخوتهم فى الأمة العربية والعالم الإسلامى والبلدان الحرة . وبذلك تعود قضية فلسطين إلى الأذهان صحيحة غير مشوهة ويشعر الأعداء أن للقضية أصحاباً لا يبالون الموت فى سبيلها وأن تغيير الخرائط ومسح اسم فلسطين منها كما فعلت إسرائيل ودول الاستعمار وعاونتها بعض الدول العربية لا يمنع أصحاب الحق من أن يعيدوا الحقائق إلى مكانها» .

وهكذا بدأت « فتح » حركتها وهى تفرض الشخصية الفلسطينية فى دور الجهاد والفدائية ، « وتنظر إلى نفسها كونها المولود الذى خرج من صلب الشعب الفلسطينى نتيجة المعاناة ليجسد العمل المسلح بشكل واعٍ » .

وهذا المعنى الذى نشرته « فتح » قبل عام من الآن هو نفسه الذى أعلنه موسى دايان فى أواخر يونيو ١٩٦٨ حيث قال : « إن (فتح) تعنى استمرار الفلسطينىين فى الثورة وأنها تكبد إسرائيل كثيراً من الخسائر فى الأموال والأرواح » .

«وبالعودة إلى أعمال « فتح » حين بدأت مسيرتها الجهادية يثبت أن حركتها أتعبت فعلاً دولة الصهاينة وفاجأتها حين اعتقدت أنه لم يبق للفلسطينيين أثر فى حياة وطنهم السليب . حتى قال التقرير الخارجى لجريدة الإيكونوميست البريطانية فى أوائل مارس (آذار) ١٩٦٥ : « إن أعمال الفدائيين تمثل أول غزو حقيقى لإسرائيل منذ حملة سيناء » . ومنذ بدء نشاط « فتح » وجناحها العسكرى العاصفة إلى الخامس من يونيو (حزيران) ١٩٦٧ غطى جهازها الإعلامى كل المناطق العربية بالثورة الجديدة ، كما غطت أعمالها الفدائية معظم أرض فلسطين المحتلة (إسرائيل) حتى إنها استطاعت أن تقوم بأكثر من ٣٥٥ هجوماً على محطات المياه فى المدن والمستعمرات الإسرائيلية وعلى منشآت تحويل نهر الأردن وعلى محطات الكهرباء ومعسكرات الجنود ، بل استطاعت أن توجه إنذاراً بواسطة الصليب الأحمر الدولى إلى سلطات إسرائيل ، أن تكف عن تعذيب أسيرها الأول « محمود حجازى » ، وأنها سوف تنتقم إذا لم يسمع نداؤها هذا . وحين ثبت أن التعذيب مازال فى عنفوانه أعلنت أنها ستقتل لىفى مدير بوليس حيفا ونفذت وعيدها الذى أعلنته . وكان لنشاط « فتح » المستمر قبل هزيمة يونيو (حزيران) وبعدها تأثير على مصانع العدو ومشاريعه وحدث

الدمار في القطارات والجسور والكبارى ومستودعات الذخيرة وتضاءلت السياحة وهي مورد هام لإسرائيل وأصبح العالم يتكلم عن شعب فقد أرضه وتحرك لضرب أعدائه وربكهم» .

بل أصبحت شعوب الأمة العربية تتحدث عن هذا الجهاد الجديد ، وتقلص على أفواهاها ذلك السؤال الدائم : أين شعب فلسطين ؟ ولما لم يثر ؟ وما هي العقبات في طريق تحرره وفدائته كما كان آباؤه الأولون ؟ .

«وكانت « فتح » فاتحة الطريق لعدد من الهيئات الفلسطينية التي أعلنت بدءها العمل الفدائي ولكن « فتح » ظلت التنظيم السرى الفدائي الوحيد المعروف طوال عامين في محور القضية الفلسطينية ، عملت في ظروف قاسية وشديدة لأنها كانت تعمل فيما يشبه الفراغ ، خلاف المنظمات الفدائية الأخرى التي أعقبتها ، وعملت في ظروف خلقتها « فتح » بجهاد استغرق عامين من الزمن والتضحيات الكبرى» .

وفي الرابع من يناير (كانون الثاني) ١٩٦٨ دعت « فتح » إلى مؤتمر عقد بالقاهرة « لضمان استمرار الثورة وتصعيدها وشمولها » .

على أن ذلك المؤتمر الذى دعت إليه « فتح » (ورغم تخلف الجبهة الشعبية ومنظمة التحرير الفلسطينية وجبهة التحرير الفلسطينية) قد أنتج توحيد الأجنحة العسكرية لجبهة تحرير فلسطين والحركة الشباب الثورى الفلسطينى وللهيئة العاملة لدعم الثورة والحركة التحرير الوطنى الفلسطينى « فتح » على أن تصدر بلاغاتها باسم « قوات الصاعقة » .

كما توحدت الأجنحة العسكرية لجبهة ثوار فلسطين وطلائع حرب التحرير الشعبية ولجبهة التحرير الشعبية الفلسطينية وتصدر بلاغاتها باسم « قوات الصاعقة » . أما طلائع الفداء فقد اختاروا لبلاغاتهم أن تكون باسم فرقة خالد بن الوليد » .

وهذا التجمع الذى خلقت « فتح » ركيزته وقوته ، لا ريب أنه يفيد الحركة الفدائية ، على الرغم من أن بعض تلك الهيئات لا تمثل جماعة متكاملة في فدائيتها وتنظيمها ومعداتنا ، ولكنها بأى نوع من أنواع العمل الفدائى أو دعمه سيكون توحيد عملها مفيداً وشمراً .

وبعد مضى عام وشهران على هزيمة الخامس من يونيو (حزيران) وتساعد العمل الفدائى الفلسطينى تصاعداً مشرفاً أقر به الصديق والعدو ، فقد بدأت بوادر توحيد هذا العمل للعيان وأصبحنا نقرأ بلاغات عن عمليات مشتركة بين العاصفة الجناح العسكرى لفتح وبين الجناح العسكرى لمنظمة التحرير . علماً بأن هذا الاشتراك لا يمثل إلا جزءاً صغيراً قليلاً من العمليات التى تحدث كل يوم من قوات « فتح » و « فتح » وحدها .

والعمل الفدائي الذي بدأت « فتح » وقادته وقدمت في تياره كثيراً من الشهداء تلتخص أهدافه كما سجلتها « فتح » لمؤتمر القمة العربي الثالث في سبعة بنود هي :

- ١ - التحرك في محيط القضية الفلسطينية من منطلق فلسطيني مرتبط بتربة الوطن .
- ٢ - الإيمان بأن الكفاح المسلح هو الطريق الوحيد لتحرير فلسطين .
- ٣ - مادام الزمن في مصلحة العدو فلتكن المعركة اليوم لا غداً .
- ٤ - ثبوت إفلاس العمل السياسي والانشغال بالكلام في وقت الانخراط بالكفاح المسلح هو انحراف قومي .
- ٥ - العمل الفدائي تمهيد لحرب شعبية .
- ٦ - المعركة لكل الشعب العربي ، والشعب الفلسطيني طليعة ذلك العمل .
- ٧ - القيادة للشعب الفلسطيني وتلاقى المنظمات يجب أن يكون في أرض المعركة .

وبهذه البنود المحددة المدروسة تهدف « فتح » إلى غايات محددة هي :

- ١ - تعزيز الثقة لدى الفلسطينيين ومحاربة عوامل اليأس .
- ٢ - إقناع العالم العربي بإمكان زلزلة الوجود الصهيوني وكشف أكذوبة قوة ومناعة إسرائيل .
- ٣ - إظهار الخطر الصهيوني حتى يشعر العرب بواجب الحذر والاستعداد .
- ٤ - خلق إدراك الخطر والقتال لدى ساكني الحدود في البلدان المجاورة ولو نتيجة للعمليات الانتقامية التي تقوم بها إسرائيل .

ولا تشك « فتح » ويشاركها الكثير من أبناء الأمة العربية المهتمين بالأمر ، أن عملها سوف يقضي على الاستقرار في داخل إسرائيل والأرض المحتلة ، ويتبع ذلك إضعاف الاقتصاد الإسرائيلي والهجرة اليهودية ، وإفهام اليهود الواردين والمولودين بإسرائيل أنهم ليسوا أصحاب هذا الوطن .

ولا يرى أحد أن اليهود سوف يجلبون بين يوم وليلة ، أو أنهم سوف يضجون من ضربات أوائل الحركة الفدائية ، فهم قوم اغتصبوا بلداً ودعموا فيه قواعد الاغتصاب ، وهم يدركون أن عملهم لم يكن سهلاً وأنهم وصلوا إليه بمساعدات قوى عالمية كبرى استغرقت عشرات السنين في سبيل إقراهم وتمكينهم ، ولهذا فهم سوف يتحملون الضربات ويدافعون وسوف ينزلون بالسكان العرب الواقعين تحت سلطانهم أشد أنواع الأذى والإذلال ، وسوف يكررون تحرشاتهم بالحدود المجاورة ، يعتدون يوماً على الأردن وآخر على لبنان ، وهكذا يهدفون إلى إشاعة الرعب ، وتقويض العمل في الأراضي الزراعية وإنزال الانتقام بالمدينين والأمنين حتى أولئك الذين لا شأن لهم بالعمل الفدائي ، ولكن هذا العمل اليهودي يحتاج إلى احتمال عربي أيضاً ، احتمال في تلقي الضربات وتقديم التضحيات ، ومواصلة للاستعداد والإعداد ، وينزلون بها الرعب ويرغمونها على حياة الحذر الدائم

القلق ، فلقد أثبتت الأحداث أن جيش إسرائيل الذى لا يهزم هو أطوعها للهزيمة حين يجد إيماناً ودفاعاً واستعداداً ، وما يوم الكرامة عنا ببعيد .

وتتابعت الأحداث وكانت نكبة يونية ١٩٦٧ ، ورغم عظم المصيبة فقد وقعت أحداث تؤكد أن الجهاد فى حدود الإمكانيات المتاحة يمكن أن يؤدى إلى تحرير أرض الإسلام فى فلسطين وعندها من ديار الإسلام .

يوم الكرامة :

« شملت حركة « فتح » كل أجزاء الأرض المحتلة حتى غطت المناطق المختلفة فى شرقها وغربها ، وفى قلب إسرائيل ، وكان لذلك أثره الواضح فى زعزعة الثقة التى أحاط بها جيش إسرائيل نفسه من أنه قوة رادعة حطم جيوش ثلاث دول عربية ، وتربع على كرامة العرب ، وأنه مستطيع أن يواصل هذا السحق فلا تقف أمامه قوة ، ولا يجالده أحد ، وأدركت إسرائيل أن العرب لم يموتوا وأن روح القتال فى سبيل الواجب هى فىهم من القوة بقدر كبير ، فقررت أن تتخذ لذلك عملاً .

« وتتابعت هذه التصريحات من أشكول رئيس وزرائها ، وديان وزير دفاعها ، ومناحم بيجين وزير دولتها ورئيس العصاة الإرهابية المعروف ، وأصبح واضحاً لدى الرأى العام العالمى أن إسرائيل تعد لغزو كبير شامل ربما استهدفت فيه احتلال الأردن بكامله ، وتحت حجة كبح جماح الفدائيين » .

وفى ١٩ مارس (آذار) ١٩٦٨ أصدرت قيادة « فتح » تصريحاً هاماً لفت فيه الأنظار إلى أن العدو حشد خلال اليومين السابقين قوات كبيرة على طول نهر الأردن ، وأنه يدعى أن « فتح » تنبع من خارج أرض فلسطين ، « فتح » التى سبق أن ادعى أشكول أنه قضى على ٩٥ بالمئة من رجالها ، وختمت التصريح بالعبارة التالية :

« ليفهم الرأى العام العالمى أن شعب فلسطين يمارس حقه الطبيعى فى النضال من أجل تحرير وطنه ، بعد أن عزلته المؤامرات الخارجية عشرين عاماً ، وهو ماضٍ فى طريقه بتحقيق الانتصار تلو الانتصار ولن يتوقف حتى يكتب لثورته العاصفة النصر الكبير » .

« وكان السؤال هو ، بما أن إسرائيل تنوى ضرب مدينة الكرامة وغزوها غزواً شاملاً ضمن مخططاتها لغزو الأردن ، هل يصمد الفدائيون أم ينسحبون ؟ يقول بيان حركة التحرير الفلسطينى : « وكان الاختيار صعباً وكان القرار خطيراً » وكان لا بد من الصمود لأن الشعب العربى فى حاجة إلى معنويات جديدة بعد نكسة يونيو (حزيران) ولأن قوات العدو لا بد أن تحطم بانزلال أكبر الخسائر بها ، ولأن قوات الفدائيين لا بد أن تتعاون مع أفراد الجيش الأردنى الباسل » .

« وهكذا تواجد معظم أفراد « فتح » فى ساحة المعركة المنتظرة وفى الساعة الخامسة والنصف من صباح الخميس ٢١ مارس (آذار) ١٩٦٨ بدأ العدو يهاجم الأردن بمئات الدبابات والطائرات

وجنود المظلات ، واشتعلت معركة كانت تحتاجها الأمة العربية ، معركة أثبتت أن الانسحاب ليس دائماً شرط السلامة وأن أبناء العرب والإسلام يستطيعون أن يوقفوا العدوان بصمود شريف ، يقول مراسل صحيفة دى تسيت الألمانية :

« في الساعة الخامسة وأربعين دقيقة من صباح ٢١ آذار شرعت مئات الدبابات الإسرائيلية تحتاز الضفة الشرقية لنهر الأردن بعد أن مهدت المدفعية بقصف شديد مركز على المواقع الأردنية .

وفي نفس الوقت تقريباً نشطت طائرات القتال وقاذفات القنابل الإسرائيلية للعمل وشرعت تلقى قنابلها في كل مكان ، بينما كانت عشرات الطائرات العمودية (الخيلوكوبتر) تنزل المظليين في منطقة الكرامة وسارت الأمور في البداية حسب المخطط الذي قدرته غرفة العمليات العسكرية بتل أبيب ، ولكن فجأة بدأت نيران الفدائيين تلتهمهم ، وكان الفدائيون قد تركوا أعداءهم يتوغلون ، ثم اندفع قسم منهم فطوق الإسرائيليون ، بينما اشتبك قسم آخر منهم مع القوات الغازية بالأيدى ورؤوس الحراب والمدى وحتى بالأسنان ، ولا تزال آثار أسنان الفدائيين وأظافرهم تبدو بوضوح على وجوه الأنرى الإسرائيليين دليلاً ظاهراً على مدى حقد العرب على العدو الذي دخل ديارهم » .

وليس أبلغ من هذا الوصف الأجنى لذلك اليوم المشهود الذي اختلط فيه دوى المدافع بطلقات الرصاص ، بصكيك الأسنان تنطبق على أعناق جنود إسرائيل وفي وجناتهم ، إنها حرب الشوارع والمواجهة ، إنها حرب الفداء ، إنها حرب الإيمان الذي يقرر ﴿ كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله ، والله مع الصابرين ﴾ .

«لقد ظهر جلياً أن إسرائيل كانت تستهدف احتلال الأردن وإذا تعسر ذلك فسوف تكتفى بالمشارف العليا التي تقع شرقي النهر ، ولكن الوقفة البطولية التي وقفها أبطال « فتح » ورجال جيش الأردن الباسل كانت فاجعة لإسرائيل ، فلم تستطع أن تحتل الأردن ولم تستطع أن تبقى في مشارف الضفة الشرقية وأمضت أغلب يومها تحرق قتلاها وجرحاها بالسيارات والطائرات » .

«يقول تقرير مستقى من الصحفيين الأجانب ذوى العلاقة بإسرائيل أمكن الحصول عليه بعد نحو أسبوعين من المعركة مايلي : « اتصل معول إسرائيلي بعدد من الصحفيين الأجانب معظمهم من الأمريكيين والأوروبيين واليابانيين مساء يوم الأربعاء ٢٠ آذار (مارس) وطلب منهم التجمع في ساعة مبكرة من صباح الخميس في القدس المحتلة استعداداً لاطلاعهم على ما وصفه بأنه (مفاجأة كبيرة) . وفي الموعد أخذوا إلى أريحا حيث أبلغوا وسط الضحك الصاخب : ستنقلون إلى الضفة الشرقية بعد قليل لمشاهدة عمليات قواتنا في إنهاء حرب جيوب الخربين وقد نتناول القهوة معاً في عمان هذا المساء » .

«ولكن هؤلاء الصحفيين لم يدخلوا الضفة الشرقية فضلاً عن عمان ، فقد لأفاهم ذلك المسئول في حالة من التجهم والارتباك بعد العاشرة صباحاً وأبلغهم أن الرحلة ستكون لئلا أيب حيث حضروا مؤتمراً صحفياً لا قيمة له .

«لقد كانت خسائر إسرائيل في هذه المعركة ذات اليوم الواحد تزيد أو تقارب ما خسرت في حرب يونيو (حزيران) . فقد قدرت الأوساط والصحف الغربية بأن إسرائيل فقدت ما لا يقل عن ١٢٠٠ بين قتيل وجريح وما لا يقل عن ١٢٠ دبابة ومصفحة وآلية قد أعطت» .

«ولقد سمعت (المؤلف صالح أبو يصير رحمه الله) بأذى من شيخ يسكن القدس وسمح له بزيارة أقاربه في عمان وقابلته شخصياً في مكان آخر : « أن سكان القدس العرب كانوا يعيشون منذ صباح ذلك اليوم في قلق بالغ خوفاً من نتائج الهجوم الإسرائيلي على الضفة الشرقية ، وكانوا يتابعون تحركات اليهود منذ الصباح الباكر ، وأنهم بدأوا يتنفسون الصعداء منذ العاشرة صباحاً حين أخذت طائرات الهليكوبتر اليهودية تنزل قرب مستشفى هداسا ، يرونها وهي تنزل القتلى والجرحى ، وحين أخذت طوابير سيارات الإسعاف في رتل طويل تقطع الطريق ذهاباً وإياباً إلى منطقة القتال مما أفهم العرب في القدس أن غزو إسرائيل لشرق النهر لم يثمر ثماره وأن خسائرهم كبيرة وكبيرة جداً » قال هذا الشيخ وعدنا إلى بيوتنا نعانق أطفالنا ونحدثهم أن اطمئنوا فإن أمتكم مازالت بخير ، إن أمتكم لم تمت كما يقول لكم أطفال اليهود منذ الخامس من يونيو» .

«ويصف متحدث رسمي لمنظمة « فتح » ساعات من ذلك اليوم في تصريحه أثناء المعركة فيقول :

« استمرت المعارك الضارية على طول الجبهة حيث فشل العدو في تحقيق أى من أهدافه ، وفي الساعة الثانية بعد الظهر بدأ العدو يتقهقر بذعر وبطريقة غير منتظمة أمام الضربات المذهلة التي سدتها له قواتنا ولا يزال ثوارنا يلاحقون العدو ويكيدونه الخسائر الفادحة مما اضطره إلى طلب وقف إطلاق النار عندما أدرك أن تفوقه الجوي والآلى لا يحميه من رجال صموا على النصر » .

ويصف مراسل مجلة « الثورة الفلسطينية » العسكري الذي عاش في قلب المعركة مشاهداته فيقول :

« بين الخامسة والنصف من صباح الخميس والثامنة والنصف من مساءه ، استطاع أبطال العاصفة في الأغوار أن يعيدوا إلى ذهن التاريخ ذكرى خالد بن الوليد وسعد بن أبي وقاص ، وعكرمة وجعفر وكل أبطال العرب الذين عادوا من جديد حاملين أسماء أبو أمية ورؤوف وربيعي وأبو العبد أبو شريف ، أسماء ابتدأت بالشهيد أحمد موسى عام ١٩٦٥ ولن تنتهي إلا عندما يصعد بلال على جدار القدس ليؤذن إن الباطل كان زهوقاً » .

«لقد أثبتت الإصابات في الشهداء أنها كلها كانت في الصدر والوجه وثبت أن طيران العدو ليس إلا وهماً وأن براعته القتالية لا تخيف الأبطال والمجاهدين ، وأن جيش الدفاع الإسرائيلي ليس إلا مجموعة من الآليات الضخمة يقودها رجال مقيدون بالسلاسل وهكذا .

وهكذا مضى يوم الكرامة يوماً خالداً دفعت فيه « فتح » مجموعة كريمة من أبنائها شهداء ، ولكنهم كانوا ثمن النصر وإزالة جزء من عار الخامس من يونيو (حزيران) وإثبات أن المقاتل العربي يستطيع أن يصمد وأن يصد وأن يدحر عدوه دون انسحاب ، وأن كارثة الخامس من يونيو (حزيران) ليست قاعدة ولن تعود أبداً ظروفها المربكة بعون الله .

«وكان يوم الكرامة ميداناً لبطولة الجيش الأردني أيضاً . فقد دافع الأبطال واشتركت مدافعه وقواته منذ الصباح وإلى أن تم جلاء الأعداء ودفع هذا الجيش أيضاً كثيراً من رجاله شهداء في ميدان الشرف والتضحية» .

وقد خاض الفدائيون من شعب فلسطين معارك ضارية في جميع أرجاء فلسطين مطروا بدمائهم حروف التضحية ، وقوا العزم لدى جماهير أمتنا العربية كلها ، لقد بلغ عدد شهداء « فتح » حتى قبيل يوم الكرامة سبعين شهيداً ولا نشك أن قرابة مائتي شهيد لحقوا بإخوانهم بعد ذلك حتى اليوم ، ولكن خسائر إسرائيل في جنودها وسياراتها ومستعمراتها ومصاريف فرقها المستنفرة على الدوام هذه كلها كانت كبيرة اعترف بها دايان وزير حرية الأعداء نفسه وليس بإمكاننا في هذه العجالة أن نعدد معارك « فتح » والفدائيين ، ولكن هذا لا يمنعنا أن نعيد للأذهان هجوم فتح على مطار أريحا والمهجوم على مخازن البترول في ميناء إيلات حيث بقي الحريق ثلاثة أيام بلياليها ، والمهجوم على معسكرات الأعداء في ضواحي نابلس ومحاولة قتل قائدها مرات ثلاث ، والمهجوم على قرى مجاورة لتل أبيب ، ونسف مستودع الذخيرة الكبير في تلك القرى والكمين المهم الذي أعد لموشي دايان فأبقاه شهراً تحت علاج خطير ، ومعركة عين عروس التي فقدت فيها إسرائيل أكثر من سبعين جندياً بين قتيل وجريح وكانت ثأراً للعرض العسكري بالقدس وفقدت العاصفة فيها اثني عشر من شباب فتح المهمين ، ويعلن بلاغ لفتح أنه في إحدى عشر عملية فدائية خسرت إسرائيل أكثر من ١٥ جندياً وبعض السيارات العسكرية ، وتلك معارك فتح عند خان يونس وغزة التي هب شعبها ليقاوم برجاله ونسائه جحافل العدو حتى أربكها طوال شهر مايو (أيار) ١٩٦٨ .

تعليق :

هذه صفحات من جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن تأليف صالح مسعود أبو يصير ، وهي تؤكد حقيقة لا مراء فيها ، أنه لو حُلى بين المجاهدين وبين اليهود لتحررت بإذن الله فلسطين . ويؤكد أيضاً أن الأنظمة الحاكمة هي التي أضاعت فلسطين ، ومكنت اليهود منها ، وهي تقوم الآن بحماية ظهورهم وتهيئة الأمة لاستكمال ما تبقى من مخططاتهم .

المبحث الثاني

اليهود والأمريكان وأعوانهم يعملون على تصفية قواعد الانتفاضة الفلسطينية (الفترة من عام ١٩٧٠ - ١٩٨٢)

وهكذا يتضح لنا أن قرار تشكيل جيش التحرير الفلسطيني كان له آثار سلبية وأخرى إيجابية ، من الآثار الإيجابية : أنه أحيا حركة الجهاد لتحرير فلسطين ، وكان لذلك أثر واضح في إرباك العدو اليهودي المغتصب ، وتشثت جهده ، وجعله في حالة استنفار دائم داخل الأرض المحتلة وعلى جميع الجبهات السورية والأردنية واللبنانية والمصرية ، ولو استمر ذلك لفترة طويلة ، كان يمكن أن يؤدي إلى إنهاك موارد العدو وقدرته المادية والبشرية وتوقف الهجرة^(٥) (بل كان يمكن أن يؤدي إلى هجرة عكسية) ، وذلك يعني أن هذه الأحداث وضعت الأمة على الطريق الصحيح لتحرير المقدسات .

وأدركت شعوب العالم الإسلامي أن إنهاء العدوان اليهودي وغيره على ديار الإسلام ، سهل ميسور لو تحررت الأمة وأحسنت الاستفادة من طاقاتها العقدية والبشرية والمادية ، لو أحسنت تفجير هذه الطاقات بالإسلام ، وأن تحرير فلسطين ما كان يحتاج أكثر من تدريب الشباب الراغب في الجهاد سواء من أبناء فلسطين أو من أبناء العالم الإسلامي وتزويدهم بالسلاح ، وفتح الجبهات العربية أمامهم إلى الأرض المحتلة ، ولو اقترن ذلك بحماية من الجيوش العربية والإسلامية لظهور المجاهدين ، مع استخدام الأسلحة المتيسرة في يد الأمة العربية مثل منع البترول على كل من يدعم العدو اليهودي وخاصة أمريكا وأوروبا ، وقفل الأسواق العربية والإسلامية في وجه منتجاتها المدنية والعسكرية ، وضرب المصالح الأمريكية والأوروبية في العالم العربي والإسلامي ، وقفل سفارات وقنصليات الدول التي غرست الكيان اليهودي على أرض فلسطين وقطع العلاقات الدبلوماسية والاقتصادية وغيرها ، لعجلت الأمة بتحرير فلسطين بل وغيرها من ديار الإسلام ولركعت أوروبا وأمريكا بين يدي أمة الإسلام ، ولكن أتى لأمة لا تملك حريتها ولا تملك زمام نفسها أن تفعل ذلك؟؟

(٥) هذا فيما يتصل بفصائل المنظمة ذات التوجه الإسلامي ، أما الفصائل ذات التوجه غير الإسلامي فقد كانت سوط عذاب على العمل لتحرير فلسطين ، أولاً بسبب العقائد الفاسدة التي تبنتها ، وحقدتها على الإسلام والمسلمين والتي بسبب انتقادها حوك المجاهد الشهيد عبد الله عزام لأنه انتقد جيفارا . بل وإحدى هذه الفصائل كانت كلمة السر في أثناء الحراسة شتم الله أو النبي أو الدين تعالى الله سبحانه وتعالى والنبي - ﷺ - عما يقولون علواً كبيراً .. وكان بعضهم يكرر « أنا ماركسي ، أنا لينيني أممي » .. وذلك بالإضافة إلى العمليات والتصرفات الحمقاء الطائشة التي أدت إلى إعطاء الآخرين الذريعة لضرب المقاومة الفلسطينية (حماس ، صفحة ٧٦ ، ٧٧) .

ومنها أيضا ؛ أنها أظهرت القاعد من المجاهد ، والخبث من الطيب ، والخلص من العميل ؛ وأظهرت للأمة أن هذا الطريق طريق الجهاد هو الطريق الذى خطه يدمائه الشهداء أمثال محمد مجوم وعز الدين القسّام وعبد القادر الحسينى ويوسف طلعت ومحمد فرغلى وغيرهم ، هو الطريق لتحرير بيت المقدس وغيرها من ديار الإسلام ، بل إنه هو الطريق لتحرير الإنسان كل الإنسان .

ومن الآثار السلبية ، أنها مهدت أمام العدو اليهودى الذى تدعمه الدول الاستعمارية (الاستخراية) وكل قوى الشر والعدوان ، مهدت له الظروف لمعرفة عناصر المقاومة الفلسطينية ، وقدراتها ، ومراكز تجمعها ومنابع تمويلها وتسليحها ، وفى ضوء هذا قاموا بإعداد الخطط اللازمة لتفتيت وحدتها وتصفية أفرادها وقادتها وإشاعة الفتن والصدام بين بعض فصائلها ، وتآليب الأنظمة والشعوب العربية عليها ، تمهيدا لمهاجمتها والقضاء عليها ، وكانت هذه من أخطر سبلات تشكيل جيش التحرير الفلسطينى وظهوره على الأرض وعدم الأخذ بالاحتياطات الأمنية الكافية فى مثل هذه الظروف .

لهذا السبب وغيره ، انطلقت أجهزة الإعلام الغربية ، تضخم من العمل على أرض فلسطين ، وتحذر من إحياء روح الجهاد فى المنطقة كلها ، وتحريها من نفوذ الاستعمار الأجنبى وضرب مصالحه وحرمانه من ثروات وخيرات العالم العربى .

وهكذا .. يحج اليهود عبر أجهزة الإعلام التى يسيطرون عليها ، فى تأليب الرأى العام الأوروبى والأمريكى الاستعمارى على ضرورة العمل لتصفية الحركة الجهادية الفلسطينية .

ولكن كيف السبيل إلى ذلك ؟ خاصة وغالب شعوب العالم العربى والإسلامى تعتبر أن الاهتمام بالقدس جزء من عقيدة الإسلام ؟ وأن تحرير القدس فريضة فى رقاب المسلمين ؟ وأى تفكير فى هجمة يهودية أمريكية أوروبية على قواعد الفلسطينيين سوف تستثير حمية وحماسة شعوب العالم الإسلامى ، وقد ظهر ذلك جليا فى أثناء العدوان الثلاثى على مصر سنة ١٩٥٦ ؛ ونكبة ٥ يونيو ١٩٦٧ .

ومن هنا كانت خطة العدو لتصفية فصائل الجهاد الفلسطينى .. تقوم على :
(أ) أهمية تفجير العمل الجهادى من داخله من خلال بث الأيديولوجيات الفكرية المتنافرة بين فصائل المقاومة ، فهذا شيوعى روسى ، وهذا شيوعى صينى ، وهذا بعثى قومى ، وقد لعبت روسيا الشيوعية دورا كبيرا فى هذا الشأن .

(ب) استعلاء الأنظمة العربية الحاكمة على فصائل الجهاد الفلسطينى ؛ وتحذيرها من إزدياد قوتها العسكرية ، وأن دعم هذا العمل الفدائى الفلسطينى ، يمكن أن يؤدى إلى زعزعة مراكز الأنظمة الحاكمة فى المنطقة العربية ، بل وجرها إلى الصدام المباشر مع المنظمات الفلسطينية كما سنرى .

(ج) تصفية كل القوى الفلسطينية (وخاصة ذات التوجه الإسلامى) التى تقف فى وجه العاملين من أجل الاستسلام بين يدى العدو اليهودى الأمريكى تحت شعار السلام .

وقد شارك فيها كل الجهات التي تكره الإسلام والمسلمين ، شارك فيها اليهود والأمريكان والروس وأبناء أوروبا وبعض الذين ينتسبون إلى أمة العرب ، والأنظمة الباطنية (النصيرية والدروز) والصليبيون (المارون والكثائب) .
وذلك تحت سمع وبصر المنظمات الدولية بل وفي حماية جامعة الدول العربية .

(أ) تصفية المقاومة الفلسطينية في شرق الأردن :

وقد تم تصفية فصائل المقاتلين الفلسطينيين على أرض الأردن على يد الجيش الأردني ، وقد عرفت هذه التصفية باسم مذابح أيلول (سبتمبر) الأسود عام ١٩٧٠ وقد عايش عبد الله عزام - رحمه الله - هذه الأحداث ، وقد حوصرت فصائل المقاتلين الفلسطينيين في مدن الأردن ، ولوحقت من بيت إلى بيت ومن جبل إلى جبل ، في عمان وغيرها من المدن (عام ١٩٧٠ - ١٩٧١) ، وقد حدث فيها ما يشيب لهوله نواصي الولدان ومن ذلك أنه قد تم تجميع الفلسطينيين في أحراش « جرش » بناء على معاهدات بين وصفي التل رئيس وزراء الأردن وبين زعماء المنظمات ، ليتم في النهاية سحق القوات الفلسطينية نهائيا في هذه الأحراش تحت جنائز دبابات الجيش الأردني .
وهرب من هرب إلى سورية ولكنه هروب من جحيم إلى جحيم ، فقد أجبر المقاتلون الفلسطينيون على ترك سورية ليتجمع من بقي منهم في لبنان .

وعلى نفس الطريق قام النظام السوري النصيري بتصفية الحركة الإسلامية المعارضة لأطماع العدو اليهودي في فلسطين ، فدخل المجرمون مدينة حماة في نوفمبر ١٩٨٢ وعاثوا فيها فسادا وهلاكاً وتشريداً أو حرقاً وقتلوا ثلاثين ألفاً ما بين طفل وشيخ وامرأة وشاب .

وقال : سيكتب التاريخ بأنه كانت هنا مدينة حماة (المجتمع الكويتية عدد ٧١٤ شعبان ١٤٠٥ هـ / أبريل ١٩٨٥) .

(ب) تصفية المقاومة الفلسطينية في لبنان :

وقد ساهم في هذه التصفية القوات اليهودية وقوات النظام السوري النصيري (على عهد حافظ الأسد) والصليبي (الكثائب والماروني) والباطنية اللبنانية (الدروز وأهل الشيعة) .

وقد تعالت الأصوات تُمدّ لتصفية قواعد المقاومة الإسلامية سواء كانت فلسطينية أو لبنانية على أرض لبنان ، وترغم بأن سبب المأساة التي يعاني منها لبنان ، هو التواجد الفلسطيني المسلح .

القوات اليهودية بموافقة أمريكية أوروبية تحتاح لبنان ، وتتجاوز أبعد التوقعات التي كانت تقول: إن الغزو سيلحق الجنوب فقط ، فإذا به يمتد إلى الشوف وبمحمدون بعد أن يمر بصور وصيدا وتحتاح الدبابات اليهودية بعبداء حيث مقر رئاسة الجمهورية ، وبحكم الحصار على وحول بيروت العاصمة ذاتها ، سادا منافذها .

قوات العدو تبأشر أعنف القصف وأقصى التدمير عن طريق البر والبحر والجو للقواعد الفلسطينية ومخيماتها ، لا تفرق بين مدنيين وعسكريين .. وذلك بهدف إنهاء الوجود الفلسطيني البشرى المسلح وغير المسلح على أرض لبنان ، لأنه يشكل حجر العثرة أمام مشاريع التسوية السلمية الإسلامية ، كما أن وجوده على الساحة اللبنانية ذات الصبغة المسيحية يعطل ويعوق الهيمنة المارونية الصليبية الظاهرة على لبنان ، كما ترغب أمريكا وأوروبا وخاصة فرنسا .

ويهدف الغزو أيضا إلى إجبار لبنان على الاعتراف بالدولة اليهودية ، وتكوين دويلات طائفية (كانتونات) تكون جزاءا أمنيا لقاعدة العدوان اليهودى .

وقاومت المنظمة فى البداية ثم قرر بعض قادتها استعدادهم لتصفية وجودهم المسلح فى لبنان مقابل فك الحصار عن بيروت ، وقد كان وخرجت فصائل المقاتلين ولم يبق إلا النساء والأطفال والشيخوخ والمدينين (الإصلاح ، السنة الخامسة ، العدد ٥٣ شوال ١٤٠٢ هـ) .

ماذا فعلت جامعة الدول العربية ؟ لا شى ..

ماذا فعلت الأنظمة العربية ؟ لقد تدخلت على استحياء بعدما استفحل الأمر ، لا لتؤدب الغاصب أو لتردع النصيرى المتآمر أو الصليبي الخائن ، إنما لإقناع المقاتلين الفلسطينيين بالخروج من لبنان .. لماذا ؟ أليسوا عربا مثلكم ؟ فإن كانوا كذلك ، فأين حقوق العروبة والقومية ؟؟

وقبلت فصائل المقاتلين أن تلقى سلاحها وتخرج عزلاء من لبنان ، يوزعون - كما يقول عبد الله عزام رحمه الله - « كما توزع السبايا .. سبايا الحروب » تاركين وراءهم النساء والأطفال أين ؟ فى مخيمى صبرا وشاتيلا .. أمانة .. أمانة فى يد من ؟ فى يد من لا يرفعى الأمانة .. فى يد أمريكا ؟ وفرنسا ؟ ويد اليهود ؟ ويد الباطنية (الدروز والنصيرية) ويد الصليبيين (المارون والكاثاب) ؟

وكان الوفاء بشعا ، مذابح صبرا وشاتيلا !! وإلا فماذا نتظر حينما يؤتمن الذئب على الغنم !! حينما يصبح الذئب راسيا للغنم ؟

واستمرت مذابح النساء والأطفال وشباب وشيوخ الفلسطينيين فى صبرا وشاتيلا (بيروت الغربية) (١٦ أيلول (سبتمبر) ١٩٨٢) ستة وثلاثون ساعة .

هذه المذابح خطط لها بيغن (منفذ مذبحه دير ياسين) منذ حصار بيروت فى يونيو ١٩٨٢ وشامير واربل شارون وزير الدفاع اليهودى وروفايل ايتان رئيس الأركان ، وأغلقت الدبابات اليهودية الطرق المؤدية إلى المخيمات الفلسطينية صبرا وشاتيلا وبرج البراجنة . وجرت واحدة من أفقر المذابح فى التاريخ ، تبقر بطون الحوامل ، وتتهك الأعراض ، وتقتل الشيخوخ والأطفال .. آلاف الضحايا .. لا غسل .. ولا دفن إلا بالبلدوزرات .. وقد شارك فى تنفيذها اليهود والصليبيون .

أين المعهد الخطي الذي قدمه المبعوث الأمريكي فيليب حبيب عبر شفيق الوزان رئيس الحكومة اللبنانية بأن المدنيين الفلسطينيين لن يمسيوا بسوء ، ولن يتعرضوا لأذى ؟ لا احترام له !! والذنب ذنب المقاومة التي فضلت أن تلقى بسلحها وتترك أعراضها وراء ظهرها .. لقد تجاهلوا قول الله تعالى : ﴿ قَاتِلُوا أُمَّةَ الْكَفْرِ إِنَّهُمْ لَا أِيْمَانُ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ﴾ .. ألم يكن الأولى بهم أن يموتوا وهم يدافعون عن أرضهم فهي أرض الإسلام ؟ وعن نساءهم وأطفالهم ويموتوا بينهم ؟؟ فلا نامت أعين الجبناء (المجلة العدد ١٣٨ السبت ٢-٨ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٨٢ تحت عنوان المجزرة ، صفحة ٤-٦) .

وكانت طرابلس وصيدا على درب صبرا وشاتيلا وحماة ، وكان الهجوم على طرابلس مكملا لمعركة بيروت الغربية للتخلص من أكبر مركزين للتجمع الإسلامي السني في لبنان ، على نفس الطريق الذي سارت عليه حماة .. طريق الاستشهاد .. لا للذنب ارتكبه أو لجرم اقترفته .. بل كل ذنبها وجرمها أنها قالت : « لا إله إلا الله محمد رسول الله » .. وكل جريمة أهلها أنهم من أهل السنة الذين تريد قاعدة العدوان اليهودي أن تضعف وزنهم في التركيبة السكانية اللبنانية لأنها ترى أنهم الظهير المساند للوجود الفلسطيني في لبنان الذي تبذل إسرائيل جهودها للقضاء عليه بأيدي عربية ولبنانية تؤمن حدودها الشمالية .

من الذي قبل بأداء هذا الدور ؟ إخوان القومية العربية ، النظام السوري النصيري بدعم من بنى يهود وخلفائهم في دوائر الأطلنطي وأوروبا الغربية الذين لا هم لهم ولا حديث عندهم سوى التطرف الإسلامي وأساليب محاصرته .

« وهاجمت القوات السورية طرابلس ممتطية ظهور حزب البعث العربي الديمقراطي (حزب النصيريين) ، والحزب الشيوعي اللبناني وأغلب أعضائه من النصاري الأرثوذكس المقيمين بطرابلس ، ومنظمة حزب البعث التابع لسورية بزعامة عاصم قانصوه وهو شيعي من بعلبك ، والحزب القومي السوري الذي أسسه النصراني (انطوان سعادة) وهو حزب له تاريخ طويل من الارتباط بدوائر المخابرات الغربية والبريطانية على وجه الخصوص .. أما حزب الدروز بزعامة وليد جبلاط وأذنان نبيه برى فقد كانوا يقومون بنفس الدور في بيروت الغربية لإذلال أهل السنة وفرض الهيمنة الطائفية »^(١) .

وحدث لصيدا ما حدث لبقية مدن لبنان الإسلامية .. فقد شارك الدروز وحركة أمل الشيعية بدورهم في تصفية المقاومة الفلسطينية في أبريل ١٩٨٥ - ففي الوقت الذي كان فيه الصليبيون يهاجمون صيدا كانت القوى الباطنية (الدروز وأمل) تهاجم بيروت الغربية لتصفية المسلمين من أهل السنة .

(١) مجلة الإصلاح السنة الثامنة العدد ٩٣ صفر ١٤٠٦ هـ أكتوبر ١٩٨٥ « مأخوذة نصا صفحة ٥/٤ ؛ المجتمع العدد ٧٣٤ السنة ١٦ الثلاثاء ٩ محرم ١٤٠٦ هـ ، « طرابلس المسلمة في مواجهة المؤامرة الباطنية » ، عبد الرحمن الناصر .

« وأمن الكتائبون النصارى (المتدينون) في وقاحتهم وبذائهم وأعلنوها حربا صليبية على المكشوف وأخذوا يطردون المسلمين الفلسطينيين من صيدا وما حولها من القرى النصرانية خاصة ، ويكدسون في نعيم عين الحلوة حيث كانت تنتظرهم مذبحه جديدة ، كصبرا وشاتيلا بإشراف يهودى أمريكى وصمت وتخاذل بل رضا عربى ضمنى » .

لقد غادرها اليهود بعد أن دمروها ، وجاء بعدهم الصليبيون ليكملوا مسيرة التدمير والقتل ، وكانوا يطلقون في اليوم الواحد على رؤوس السكان حوالى ٥٠٠ قذيفة ، بل إن الطيران الحكومى اللبنانى قد شارك بشن الغارات (المجتمع ، العدد ٧١٤ لسنة ١٤٠٥ تحت عنوان دماء على طريق التسوية ، المجتمع ، العدد ٧١٥ ١٠ شعبان ١٤٠٥ صفحة ٢٢ .

(ج) تصفية فصائل المقاومة الفلسطينية في تونس :

غارة يهودية بدعم أمريكى على تونس .. في العاشرة من صباح الثلاثاء السادس عشر من محرم ١٤٠٦ هـ وتوقيت تونس قامت طائرات بنى يهود بالإغارة على مقر منظمة التحرير الفلسطينية على بعد ٣٥ كيلو مترا من العاصمة تونس (٢١٠٠ كيلو متر من قاعدة العدوان اليهودى بفلسطين) وأسفرت الغارة عن ١٩٥ بين قتيل وجريح .

ما هو موقف تونس الدولة المعتدى عليها ؟؟ طلبت اجتماع مجلس الأمن لبحث العدوان واتخاذ إجراءات لمنع تكرار هذا الاعتداء .

ما هو موقف العالم ؟؟

- مسئول مصرى يصرح : « إن مصر ستستمر في مساعى السلام رغم الصدمة المأساوية !!! » .
- مسئول أمريكى يعلن : « الرد على الهجمات الإرهابية ردا مشروعا والغارة اليهودية تدخل تحت هذا المبدأ !! » .

- الأردن يعلن تعهده بالاستمرار في بذل الجهود لإجراء مفاوضات التسوية في الشرق الأوسط ووصف الغارة بأنها محاولة لضرب الداعين للتسوية السلمية .
- سكرتير الأمم المتحدة دى كويار يكتفى بإدانة الإرهاب من كل الأطراف » .

مدلول الغارة .. أن اليهود ماضون في تنفيذ مخططهم ولا يوجد أى هدف بعيد عن متناول طائراتهم وأيديهم .

وهنا سؤال يطرح نفسه .. ما هو دور الأسطول الأمريكى في البحر الأبيض في هذه الغارة ؟؟ وهل الطائرات يهودية ؟؟ أم أمريكية أعيد طلاؤها ورسم العلامات اليهودية عليها لأداء المهمة ؟

أخطر نتائجها .. صرفت الغارة اليهودية الأنظار والأذهان عن مجازر طرابلس لقد توارت أخبار ألوف الجرحى والقتلى وألوف المساكن التى تم تدميرها وتوارت أخبار « التار » الذين حاصروا طرابلس وأصلوها بوابل من الجحيم زاد على ربع مليون قذيفة في يوم واحد .

كما أنها كانت مصدر ضغط على الجهات العربية التي أعلنت قبولها لخطط السلام الأمريكية اليهودية من أجل دفعها للإسراع في اتباع الأقوال والتصرّجات باللقاءات والدخول في المفاوضات .

تقويم الأحداث

وهكذا تم إجهاض كل القوى التي تستطيع أن تقاوم الهجمة اليهودية العالمية على فلسطين والعالم العربى والإسلامى ، وتم تأمين وحماية ظهر العدو اليهودى على أرض فلسطين عبر الجبهة السورية واللبنانية والأردنية والمصرية .

أين شعوب العالم العربى الإسلامى ؟

إذا استثنينا المنظمات الإسلامية وخاصة جمعيات الإصلاح الاجتماعى ، وجماعة الإخوان المسلمين والاتحادات الطلابية فى المدارس والجامعات ، نلمح على مستوى الأنظمة استسلاماً للأحداث ، كأن الأمر لا يعينهم ونسوا حقوق الأخوة ، وحقوق الجيران وحقوق الإنسان ، وصدق رسول الله - ﷺ - : « غناء كغناء السيل » .. والأخطر من هذا أن فريقاً من هؤلاء قد اتخذ مطية لتحقيق أهداف ومخططات الأعداء^(١) ..

بقيت ملاحظة كيف يقاتل أبناء الأمة العربية بعضهم البعض ؟

حينما رفع أبناء الأمة العربية راية غير راية الإسلام ، يقاتل بعضهم بعضاً يسفك بعضهم دماء البعض لا حرمة لأطفال ولا لشيوخ ولا لنساء .. لا حرمة للإنسانى ..

من المستفيد؟؟ من المؤكد أنهم أمة اليهود وكل أعداء الأمة المسلمة !! من وراء هذه الفتنة؟؟ نشر أن الرئيس جمال عبد الناصر كان وراء هذه الأحداث حينما شكك الملك حسين فى نوايا المقاتلين الفلسطينيين ، وأغراه بهم ، وحينما شكك الفلسطينين فى نوايا الملك حسين وأغراه به . وقد اتضح ذلك فى مؤتمر القمة العربى الذى عقد فى مصر ، وهذا هو الذى دفع الملك فيصل رحمه الله أن يترك المؤتمر ويعود إلى بلده ..

أين الإسلام الذى يحرم إفساد ذات البين ويعتبرها الخالقة التى تخلق الدين؟؟ غائب عن حياة الأمة فى ظل حكم الثوار الذين ضيعوا البلاد والعباد !!

أين توجهات رسول الإسلام محمد - ﷺ - : « لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضهم رقاب بعض » لا وجود له فى حياة كثير من الأنظمة .

الغريب ، أن كل ذلك يحدث فى ظل المنظمات الدولية .. وفى وجود جامعة الدول العربية .. وأنظمة تملك الجيوش وتعتلى العروش !!

ماذا يعنى ذلك؟؟ يعنى أنها مؤامرة عالمية على أمتنا ..

(١) الإصلاح ، السنة الثامنة ، العدد ٩٣ صفر ١٤٠٦ أكتوبر ١٩٨٥ صفحة ١٨ - ١٩ .

قادة منظمة التحرير الفلسطينية على طريق الاستسلام :

الولايات المتحدة الأمريكية تستدرج منظمة التحرير الفلسطينية إلى الاعتراف بالدولة اليهودية العدوانية ، ورئيس منظمة التحرير الفلسطينية يعترف في مؤتمر صحفي عقد في جنيف (سويسرا) بحق إسرائيل في الوجود كدولة ، ويوافق على قرارى مجلس الأمن ٢٤٢ ، ٢٣٨ ، ونبذ الإرهاب بكل أشكاله (أى وقف الانتفاضة ضد اليهود) ، والمهدف أن تبدأ الولايات المتحدة بالتجاوز مع المنظمة ! مجرد التجاور !! . هذا الاعتراف أصاب القضية الفلسطينية إصابة بالغة ، لأنه اعتراف من أهل الدار بأحقية المغتصب فيما اغتصب .

شيمون بيريز يعلن : « يجب وضع تصريحات عرفات تحت الاختبار ، ويجب أن تتوقف الانتفاضة حتى يمكن إجراء محادثات سلام » .

وزير خارجية أمريكا (شولتز) يعلن بعد هذا الاعتراف : « أنه ليس هناك ما يمكن تفسيره على أنه قبول أو اعتراف من قبل الولايات المتحدة بالدولة الفلسطينية المستقلة ، وأن التزام الولايات المتحدة بأمن إسرائيل لا يزال ثابتا لا يتزعزع » .

رئيس أمريكا (ريغان) يصرح : « أن أحد الأسباب الرئيسية لإجرائنا هذا الحوار مع المنظمة هو مساعدة إسرائيل على تحقيق الاعتراف والأمن الذى تستحقهما » .

وهكذا ربح اليهود وأعوانهم ورقة من أخطر الأوراق وحسر الفلسطينيون كل شيء ، وتحقق ما كان يطالب به بعض أبناء فلسطين الذين تنكروا لإسلامهم ، واعتنقوا المذهب الشيوعى وخرجوا يطالبون باقامة دولة يهودية لليهود في فلسطين ، ويرون أن قتال اليهود الشرفاء رجعية دينية متعاونة مع الإمبريالية !! . (مع العلم بأن اليهود قد نجحوا في تأسيس حزب شيوعى « راکاح » من أبناء فلسطين في وقت مبكر عام ١٩٢٠ بجهود روز شتاين وجابو تينسكى أستاذًا بيجن) . (حماس ٧٩ - ٨٠) .

حركة المقاومة الإسلامية « حماس » ترفض كل هذه التوجهات (التصرفات) عبر تصعيد المواجهة اليومية مع سلطات الاحتلال اليهودى إشارة إلى أن الجهاد والصمود في وجه الاحتلال هما اللذان يجبران العدو على الانسحاب ، وليس التنازلات والمفاوضات . (المجتمع الكويتية ، ١٨/٨٩٧ جمادى الأولى ١٤٠٩ ص ٢٢ ، ٢٣ ، ملاح القضية الفلسطينية في المرحلة القادمة ، عبد العزيز العمرى) .

المبحث الثالث

الانتفاضة الفلسطينية (عام ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨) تبديد ظلمات اليأس
حركة المقاومة الإسلامية حماس ، ترشد الأمة إلى طريق التحرير

- غالب الأنظمة العربية لم تحسن الاستفادة من أحداث الانتفاضة ولم تعمل على دعمها .
- حركة المقاومة الإسلامية حماس تعلن عن هويتها : (إنها فرع من حركة الإخوان المسلمين) .
- مؤامرة عالمية أمريكية يهودية عربية لحصار الانتفاضة واجهاضها .
- منظمة التحرير تعلن قيام دولة فلسطينية ... أين مكان الدولة ؟؟ في الهواء !!! .
- الدول تسارع إلى الاعتراف بالدولة الوهمية ؟؟؟ .
- قادة الدولة الفلسطينية يعترفون بالعدو اليهودي (إسرائيل) صاحباً لفلسطين ..
فماذا بعد ذلك ؟؟؟

لقد واصل الاعداء تنفيذ مخططاتهم ، ومنها تصفية الكوادر الرئيسية للانتفاضة الجهادية سواء كانت فلسطينية أو غير فلسطينية في الفترة من عام ١٩٧٠ وحتى عام ١٩٨٢ ، وتصوّر الأعداء أن الحركة الجهادية لتحرير فلسطين قد انتهت ولن تقوم لها قائمة وهذا التصور فاسد ، لأن الحركة الجهادية ليست من صنع البشر ، لأن الذي يوجهها ويعينها هو رب العالمين ، وإن كان البشر هم ستار القدرة يقول الله سبحانه : ﴿ حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا ﴾ .

وقد كان ، ففي عام ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م ، انطلقت الانتفاضة الفلسطينية (انتفاضة الجهاد) واشتركت فيها جميع الفئات الشعبية من حماس (حركة المقاومة الإسلامية) وتنظيم الجهاد والمقاومة الفلسطينية المنظمة .

وهذه الانتفاضة وثيقة الصلة بحركات الجهاد التي قامت على الأرض التي بارك الله فيها للعالمين عبر التاريخ ، فهي وثيقة الصلة بموسى عليه السلام الذي خرج باتجاه بيت المقدس لتحريرها من قوم

جبارين غلبوا عليها ، ويوشع بن نون الذى قاد جموع المسلمين وحرر بهم بيت المقدس ، وطالوت وداود وسليمان عليهما السلام اللذين حرروا بيت المقدس من جالوت وجنوده .. وبمحمد ﷺ وأصحابه الذين حرروا بيت المقدس من الاحتلال الرومى .. وبآل زكى نور الدين محمود ، وصلاح الدين الأيوبي وقطر وبيرس والأشرف خليل ومحمد بن قلاوون الذي دحروا الهجمة الصليبية التتارية على ديار الإسلام .

الانتفاضة وثيقة الصلة بالحركة الجهادية التى قامت على أرض فلسطين منذ عام ١٩١٩ ميلادية وحتى الآن وثيقة الصلة بمحمد مجموع وعطا الزير والشيخ عز الدين القسام وعبد القادر الحسينى .

هذه الانتفاضة هى نتاج غرس حسن البنا ، ويوسف طلعت ، ومحمد فرغلى وسيد قطب وعبد القادر عودة . يقول الشيخ عبد الله عزام رحمه الله : إذن لقد تحرك المسلمون وأبناء فلسطين قاطبة وقام أحمد ياسين رمز صمود الحركة الإسلامية وبدأ يحرك أبناء الحركة الإسلامية وبدأ الشارع الفلسطينى يرجع إلى الله على أصدقاء نعم الله أكبر ، « خير خير يا يهود ، دين محمد سوف يعود ... » واشترك فى هذا الجهاد جميع الطبقات والفئات من أبناء فلسطين .

وبدأت المنظمة تدخل الأموال لدعم الانتفاضة ولكن (حركة المقاومة الإسلامية .. حماس) قد برزت بشكل منظم وواضح وأخذت تشتد يوما بعد يوم ويصلب عودها ويقوى تيارها وبدأت تستحوذ على اهتمام الجماهير واعجابهم بسبب التزامها ونظامها ، ونحن نرقب ذلك اليوم الذى يتحول فيه الحجر بأيدي حماس ويتبدل الحجر وتحل القنبلة والبندقية - وهذا سهل بأمر الله إذا وجد الشباب الذين ينتزعون سلاحهم من أيدي أعدائهم ويقاثلونهم به - ونرقب اليوم الذى تهتز الأرض فيه تحت أقدام اليهود وتزيع فيه أبصارهم وتنبهل إلى الله أن يفتح لنا ثغرة إلى فلسطين نزاول فيها عبادة القتال وفريضة الجهاد وما ذلك على الله بعزيز .. ﴿ ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريبا ﴾ .

وعندما أعلنت حماس عن هويتها وأنها فرع من حركة الإخوان المسلمين انتفضت الدنيا كلها هلعا وتداعت دول الشرك من كل ناحية وبسرعة كالبرق الخاطف اجتمع المجلس الفلسطينى بإيحاء من هذه الدول ؟؟؟ وأعلن قيام الدولة الفلسطينية التى ليس لها شبر أرض تقف عليه ، فهى معلقة فى الهواء ، ليس بيدها أية ورقة ضاغطة على اليهود ، فلا المواقف العسكرية القوية التى تحسم القضايا ، ولا الأرض الصلبة التى تستوى قائمة عليها .

وخلال أسبوع - وهذا يدعو للعجب - تعترف بالدولة الفلسطينية خمسون دولة تقريبا ثم فطنت أمريكا بأنها تسرعت بالاعتراف ، فأخرجت بسرعة تأشيرة أبى عمار لدخول أمريكا ، واعترفت المنظمة بدولة إسرائيل على مرأى من العالم كله ، وقال أبو عمار : هل يرضيكم هذا ؟

وهكذا سلمت قيادة المنظمة للعدو الذى اغتصب فلسطين أنه صاحبها ، وكان ذلك بمثابة طعنة في ظهر الانتفاضة ، ولكن العدو يضغط لمزيد من التنازلات فقالت أمريكا : لا بل لا بد من أن تقرأ الكلمات التى نكتبها لك وكتبته لك الكلمات وأعاد قراءتها على شاشة التلفاز على مرأى ومسمع من الدنيا كلها .. (وكانت هذه هى قمة الهزيمة أن يعترف صاحب الدار للمغتصب بأنه هو صاحبها) ومع هذا كله لا زالت إسرائيل رافضة أن تجتمع بالمنظمة ، واعترف بالمنظمة حتى الآن أكثر من مائة دولة .

وعقد عبد الله عزام مقارنة بين موقف قادة الجهاد الأفغانى وقيادة منظمة التحرير الفلسطينية وموقفها المتخاذل :

« وصورة أخرى مشرقة تقابلها من فوق ذرى الهندوكس (أفغانستان) من أولئك الأبطال الذى دوخوا روسيا فولت على أعقابها خاسرة ، وقد مزق ثملها وشتت جمعها فخرجت خاسمة ذليلة فقد طلب ريجان نفسه مقابلة حكمتار فرفض فأرسل له رسالة من ابنته مورين ريجان فرفض مقابلته ودعى من الكونجرس فرفض مقابلته ، وقابل يونس خالص ريجان وعرض عليه الإسلام ، ورفض خالص مقابلة كود كورديز مندوب الأمم المتحدة أكثر من مرة ، وأعلن مجددي أننا لن نقابل روسيا ، وعندما طلب فورتنسوف وكيل الخارجية الروسية مقابلة ريانى اشترط عليه شروطا :

- ١ - أن تكون المقابلة فى أرض إسلامية كالسعودية وباكستان .
- ٢ - أن لا تتضمن المباحثات شكل الحكومة القادمة .
- ٣ - أن يدخل الوفد الروسى إلى القاعة قبل الوفد الجهادى حتى يقوم الروس للمجاهدين .
- ٤ - ألا يصافح المجاهدون الروس .

وقبل فورتنسوف الشروط كلها وطلب من ريانى أثناء المباحثات أن يدخلوا ثلاثة وزراء مسلمين من حكومة نجيب فى دولهم ريثما يتم خروج القوات الروسية حتى يحفظوا ماء وجوههم أمام العالم فقال المجاهدون : (إن الإسلام لا يعطى حق الحياة للشيوعى « من بدل دينه فاقتلوه » فكيف يعطى حق الحكم للشيوعيين) .

وهربت روسيا من أفغانستان لا تحمل ورقة واحدة موقعة من المجاهدين ، ولا أظن أن المجاهدين حتى الآن قدموا ورقة التماس واحدة لأية دولة من دول العالم الكبرى ، غربية أو شرقية ، ومع هذا كله فدولة المجاهدين قائمة فوق ٩٠٪ من أرض أفغانستان وسيوفهم لا زالت تقطر دما من أعدائهم ومعاركهم التى يخوضونها الآن لتصفية شرادم الشيوعيين الذين يشهقون شهقات الموت لم يشهد لها نظير فى شرستها وعنفوانها .

ومع هذا كله لم تعترف بهم إلا السعودية والبحرين والسودان وماليزيا ، جزاهم الله خيرا .

فهل يعنى ذلك أن الدولة الفلسطينية قد أنيط بها مهمة إخماد نار جهاد الإنتفاضة وإطفاء نورها ، وعثا يحاولون .. ﴿ ومكروا مكرا ومكرنا وهم لا يشعرون ﴾ فانظر كيف كان عاقبة مكبرهم أننا دمرناهم وقومهم أجمعين، فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا إن في ذلك لآية لقوم يعلمون » وأنحننا الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴿ التل ٥٠-٥٣ . (حماس حركة المقاومة الإسلامية في فلسطين ، الجدور التاريخية والميثاق) إعداد أ.د. عبد الله عزام .. مكتب خدمات المجاهدين ص.ب ٩٧٧ ، باكستان ، صفحة ٨٤ - ٨٩ .

تعليق :

واستشهد عبد الله عزام ، والانتفاضة مستمرة ، وراية الجهاد مرفوعة ، ولكن الساحة شهدت مأساة أخرى .. شهدت غالب الأنظمة العربية كلها تهرول إلى مؤتمر مدريد لتعترف للعدو اليهودى بأنه صاحب فلسطين ، وأنها على استعداد لفتح الحدود وتطبيع العلاقات معه .. وبمحت مطالبه الأخرى . وأنها على استعداد لتصفية كل القوى الوطنية والإسلامية التى تحاول أن تنال من الصديق اليهودى (فى تصورهم) وتقف فى وجه تطبيع العلاقات معه ... وهكذا استدرجت غالب الدول العربية إلى دخول كامب ديفيد » وكانت هذه أكبر طعنة توجه إلى حركة الجهاد الإسلامى ، ورغم هذا - بفضل الله - فالانتفاضة مستمرة (دخلت عامها الخامس) وتطور أساليبها كما تحدث بذلك عبد الله عزام رحمه الله .

وشاء الله أن تتحقق توقعات شهيد الإسلام فى أفغانستان عبد الله عزام ، وانتصر المجاهدون الأفغان ، وانهارت الشيوعية العالمية وتفتت الاتحاد السوفيتى ، ودخل المجاهدون كابول يذكروننا بدخول رسول الله محمد ﷺ مكة فاتحا مرددا قول الله تعالى : ﴿ لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا ﴾ (سورة الفتح)